

أمتع فصول الكتاب من حيث مادته وربط الكلمات العربية المستعملة في عصرنا هذا بأصولها في العربية القديمة مع شواهد الطريفة ، فهو إذن بحث تطبيقي لبعض الألفاظ العربية التي يتبين من خلال دراستها مدى قوة العربية وأصالتها ، وغرضه في ذلك الرد على قول بعض المعاصرين الذين يرون أن اللغة في النصوص القديمة هي لغة بدوية ، ويتوجهون بالنقد القاسى ضد المعنيين بتدريس هذه اللغة التي فرض عليها أن تسائر العصر بطرائق العصور المتأخرة ، وما زالت مصنفات القرن السادس والسابع الهجريين ، بل حتى القرون اللاحقة هي متطوع العلم ، ومفصل الراي في علم النحو ... ونقول أن رأي المؤلف الفاضل - في هذا الفصل - طريف جدا فهو لا ينكر صحة النقد القاسى الذى أشرنا إليه، بل يرى أن هؤلاء الدارسين لو التزموا بمنهج العلم القائم على الموضوعية لانتهوا الى نتائج أخرى تضيف الى بدأة اللغة مادة جديدة ص 125 . ومن هنا يقوم المؤلف بتطبيق مقولته هذه ليبين قوة العربية وأصالتها في كونها اتخذت مادة البدأة وسائل للإعراب عن مختلف مظاهر الحضارة ، فيختار اولا كلمة مستعملة في لغة أهل عصرنا هذا (عصر العلم والتكنولوجيا) وهي كلمة الركب في قولهم (البلدان المتخلفة عن ركب الحضارة) فكلمة (ركب) في أصولها مادة بدوية مفرقة في البدأة من ركب البعير وركب الناقة او الفرس ، والركب للدابة بوجه عام الا انها سائرت المعانى المختلفة التي اقتضتها مظاهر الحضارة المتطورة فعبرت عن معانٍ مجازية حتى وصلت الى العصر الحديث (ماذا سمعنا من يقول البلدان المتخلفة عن ركب الحضارة) ادركنا قوة هذه الكلمة ، وحيويتها التي تثبت طوال هذه المسيرة الى ان انتهت الى شىء يتصل بالعصر الحديث ، وذلك ان المشتغلين بالكيمياء في عصرنا يعرفون المركب الكيمياوى أو التركيب الكيمياوى) ص 129 . وعلى هذا النهج يبحث كلمة الخيلاء والمقل والحكمة والرحل ... الخ من الألفاظ التي تثبت أصالة اللغة العربية وكيف أن الاستقراء يفيدنا بان العرب قديما قد استمدوا من هذه الألفاظ البدوية ألفاظا طوروها ، وعبروا عن كثير من جوانب الحياة الحضارية التي جدت في حياتهم (وهذا يعنى ان هذه اللغة العربية قد تجاوزت المراحل وعاصرت الحضارات فكانت اداة حكيمة للإعراب عن الجديد فهمي أبدا متطورة ، وهي أبدا صالحة للإعراب عن الجديد الوافد) ص 142 .

وقد تناول في الفصل الاول من الباب الاول ، موضوع بدء الدرس اللغوي ، وفي الفصل الثانى رواية اللغة (الرواية في البصرة) . وفي الفصل الثالث المروى عند البصريين ، والفصل الرابع اللغة والرواية في الكوفة ، والفصل الخامس آثار البصريين اللغوية ، والفصل السادس آثار الكوفيين اللغوية .

ومن الواضح ان عناوين الفصول هذه تخص جانباً مهماً ، لابد أن يكتب فيه كل من يريد كتابة تاريخ اللغة العربية ، ولذا جاء افتتاح المؤلف الفاضل كتابه بهذا الباب ضرورة يقتضها البحث ، وهو يذكرنا بجهود كبيرة تمت في هذا الميدان مثل كتاب الدكتور مهدي الخزومي (الدرس اللغوي ببغداد) وكتابه الآخر « مدرسة الكوفة » ، وكتاب الدكتور ناصر الدين الاسد الذي تناول مسألة الرواية الشعرية بصورة خاصة ... وبحوث الدكتور عبد الحميد الشالقانى التى تناول فيها دور الاعراب الرواة في حفظ اللغة العربية ، وما أدخل ذلك من وضع أو ائتان أو تجويد في نقل مفردات وكنوز لغتنا العربية مثل كتابه « الإعراب الرواة » و « رواية اللغة » .

الا أن فضل أستاذنا الجليل في هذا الباب يتجلى في انه استطاع أن يقدم للقارئ صورة واضحة ميسرة لهذه المعارف لتكون له مقدمة وتبهيذا يعرف بها تاريخ جمع اللغة العربية ، ويبدء الاهتمام برواية مفرداتها وحفظ شواهدا .

أما الباب الثانى فقد تناول في الفصل الاول منه موضوع اللهجات العربية ، وفي الفصل الثانى اللغة بين البدأة والحضارة ، وفي الفصل الثالث اللحن ودلالاته ، وفي الفصل الرابع بحث موضوع العربية التاريخية . وقد اعتبر القرآن الكريم المادة التى ينظر من خلالها الى تاريخ هذه اللغة ، وكيف انتهت الى ما نسميه العربية الفصيحة لئلا يدخل في مشكلة نصوص العربية القديمة في الاحتجاب التى سبقت القرآن ، ولئلا يدخل في موضوع الانتحال وما سائر قضية الشعر الجاهلى من شكوك أو مطاعن . ومن هنا تحدث عن القراءات وتاريخ نشوئها ، وعن المصحف العثمانى ثم القراءات الشاذة ومن ألف فيها ، واهتمام اللغويين بها بصورة خاصة ، خاتما الفصل بنصوص من كتاب مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ومن كتاب المحتسب لابن جنس .

أما الباب الثالث فيعتبر الفصل الثانى منه من